170943 ـ اختلاف المفسرين في الرسل المذكورين في سورة يس

السؤال

هل هؤلاء الرسل الثلاث الذين ذُكروا في سورة " يس " في قصة أصحاب القرية – هم من رسل الله ـ، قال تعالى : (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ . إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ) ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

اختلف المفسرون في هؤلاء الرسل الثلاثة الذين ضرب الله بقصتهم مثلا في سورة " يس "، هل هم من رسل الله عز وجل ، أم من أصحاب المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وذلك على قولين :

القول الأول : أنهم رسل الله تعالى ، ورسله عز وجل كثيرون ، كما قال تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) غافر/78.

يروى هذا القول عن ابن عباس وكعب الأحبار ووهب بن منبه ، لكن الإسناد إليهم لا يصح ، حيث يرويه الطبري في " جامع البيان " (20/500) وفي إسناده انقطاع ظاهر ، ونقله ابن تيمية في " الجواب الصحيح " (2/247) من كلام أبي العالية حيث قال عنهم : " قالوا : نحن رسل رب العالمين "

واختار هذا القول من المحققين شيخ الإسلام ابن تيمية ، والحافظ ابن كثير ، واعتمده أيضا العلامة السعدي في " تيسير الكريم الرحمن " (ص/693)

ويمكن أن يستدل له بما يأتي :

أولا : جواب أهل القرية لهؤلاء المرسلين كان بقولهم : (ما أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا)، وهذا الجواب حكاه القرآن الكريم عن تكذيب الكفار لرسل الله ، فقد كانوا يريدون إرسال الملائكة بدلا من البشر ، ولو كانوا رسلا لعيسى عليه السلام لم ينكر أصحاب القرية رسالتهم بهذه الحجة .

ثانيا : ظاهر القرآن الكريم يدل على أنهم رسل الله مباشرة ، وذلك في قوله تعالى : (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ) فنسب الإرسال إلى نفسه عز وجل بضمير الجمع (أرسلنا) .

القول الثاني : أنهم رسل المسيح عيسى بن مريم ، بعثهم إلى مدينة " أنطاكية "، وقد روى هذا القول جماعة من العلماء عن قتادة فيما بلغه ، واعتمده أكثر المفسرين وقدموه في تفسيرهم للآيات ، بل قال ابن كثير: "هو الذي لم يذكر عن واحد من

متأخري المفسرين غيره" انتهى من " تفسير القرآن العظيم" (6/573)

انظر : " تفسير البغوي " (7/10)، " الكشاف " (4/7)، " التسهيل لعلوم التنزيل " لابن جزي (2/180)، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود (7/161)، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للبيضاوي (4/ 264)، "مفاتيح الغيب" للرازي (26/260)، "فتح القدير " للشوكاني (4/417)

قال قتادة رحمه الله :

" ذُكر لنا أن عيسى ابن مريم بعث رجلين من الحواريين إلى أنطاكية ـ مدينة بالروم ـ فكذبوهما فأعزهما بثالث " انتهى رواه الطبري بإسناده في " جامع البيان " (20/500)

ودليل هذا القول هو النقل عن قتادة فقط ، وإلا فليس في سياق القصة في القرآن الكريم تصريح ولا تلميح بذلك .

ثم أجابوا عن أدلة القول الأول بما يأتي :

أولا : اعتراض أصحاب القرية بكون الرسل بشرا هو من التعنت الذي اعتاده المكذبون ، والمتعنت لا فرق عنده بين رسل الله المباشرين ورسل عيسى عليه السلام ، فهو يبحث عن الجدال العقيم ، ويتذرع بأي شبهة ليكذب بها الرسل ، فيستعمل هذا الجواب الداحض لكل من ذكَّره بالله ، وأَمَرَه بالإيمان به وحده لا شريك له .

ثانيا : أما الإسناد إلى ضمير الجمع (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ) قالوا هو على سبيل المجاز ، فإن رسل عيسى هم رسل الله عز وجل أيضا ، ولكن بالواسطة ، فجاز في اللغة نسبتهم إلى المرسِل الأول .

وقد أطال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مناقشة هذا الموضوع في كتابه العظيم " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح "، وذلك في معرض الجواب عن دعوى من يقول إن الحواريين أصحاب عيسى عليه السلام كانوا من الرسل أو من الأنبياء ، وبعضهم يستدل بهذه الآيات في سورة يس ، فبين بوجوه كثيرة أن الرسل الثلاثة الوارد ذكرهم في سورة يس هم رسل الله أرسلوا إلى تلك القرية قبل بعث المسيح عليه السلام .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" بعضهم يقول : إن المسيح أرسلهم في حياته .

لكن المعروف عند النصارى أن أهل أنطاكية آمنوا بالحواريين واتبعوهم ، لم يهلك الله أهل أنطاكية ، والقرآن يدل على أن الله أهلك قوم هذا الرجل الذي آمن بالرسل .

وأيضا فالنصارى يقولون : إنما جاءوا إلى أهل أنطاكية بعد رفع المسيح ، وأن الذين جاءوا كانوا اثنين لم يكن لهما ثالث ، قيل : أحدهما شمعون الصفا ، والآخر بولص ، ويقولون إن أهل أنطاكية آمنوا بهم ، ولا يذكرون حبيب النجار ، ولا مجيء رجل من أقصى المدينة ، فالأمر المنقول عند النصارى أن هؤلاء المذكورين في القرآن ليسوا من الحواريين ، وهذا أصح القولين عند علماء المسلمين وأئمة المفسرين ، وذكروا أن المذكورين في القرآن في سورة يس ليسوا من الحواريين بل كانوا قبل المسيح ، وسموهم بأسماء غير الحواريين ; كما ذكر محمد بن إسحاق .

وهذا القول هو الصواب ، وأن هؤلاء المرسلين كانوا رسلا لله قبل المسيح ، وأنهم كانوا قد أرسلوا إلى أنطاكية ، وآمن بهم حبيب النجار ، فهم كانوا قبل المسيح ، ولم تؤمن أهل المدينة بالرسل ؛ بل أهلكهم الله تعالى كما أخبر في القرآن ، ثم بعد هذا

عمرت أنطاكية وكان أهلها مشركين حتى جاءهم من الحواريين ، فآمنوا بالمسيح على أيديهم ، ودخلوا دين المسيح .

ويقال إن أنطاكية أول المدائن الكبار الذين آمنوا بالمسيح ـ عليه السلام ـ وذلك بعد رفعه إلى السماء ، ولكن ظن من ظن من المفسرين أن المذكورين في القرآن هم رسل المسيح وهم من
الحواريين ، وهذا غلط لوجوه :

منها : أن الله قد ذكر في كتابه أنه أهلك الذين جاءتهم الرسل ، وأهل أنطاكية لما جاءهم من دعاهم إلى دين المسيح آمنوا ولم يهلكوا .

ومنها : أن الرسل في القرآن ثلاثة ، وجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى ، والذين جاءوا من أتباع المسيح كانوا اثنين ، ولم يأتهم رجل يسعى ، لا حبيب ، ولا غيره .

ومنها : أن هؤلاء جاءوا بعد المسيح ، فلم يكن الله أرسلهم .

ومعلوم عند الناس أن أهل أنطاكية لم يصبهم ذلك بعد مبعث المسيح ، بل آمنوا قبل أن يبدل دينه ، وكانوا مسلمين مؤمنين به على دينه إلى أن تبدل دينه بعد ذلك .

ومما يبين ذلك أن المعروف عند أهل العلم أنه بعد نزول التوراة لم يهلك الله مكذبي الأمم بعذاب من السماء يعمهم ; كما أهلك قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وغيرهم ، بل أمر المؤمنين بجهاد الكفار ; كما أمر بني إسرائيل على لسان موسى بقتال الجبابرة ، وهذه القرية أهلك الله أهلها بعذاب من السماء ، فدل ذلك على أن هؤلاء الرسل المذكورين في يس كانوا قبل موسى عليه السلام .

وأيضا فإن الله لم يذكر في القرآن رسولا أرسله غيرُه ، وإنما ذكر الرسل الذين أرسلهم هو .

وأيضا فإنه قال : (إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث) يس/14، فأخبر أنه أرسلهم ; كما أخبر أنه أرسل نوحا وموسى وغيرهما .

وفي الآية : (قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء) يس/15، ومثل هذا هو خطاب المشركين لمن قال : إن الله أرسله وأنزل عليه الوحي لا لمن جاء رسولا من عند رسول .

وقد قال بعد هذا : (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) يس/30.

وهذا إنما هو في الرسل الذين جاءوهم من عند الله ، لا من عند رسله .

وأيضا فإن الله ضرب هذا مثلا لمن أرسل إليه محمدا صلى الله عليه وسلم يحذرهم أن ينتقم الله منهم ; كما انتقم من هؤلاء ، ومحمد إنما يضرب له المثل برسول نظيره ، لا بمن أصحابه أفضل منهم ، فإن أبا بكر وعمر وعثمان وعليا أفضل من الحواريين باتفاق علماء المسلمين ، ولم يبعث الله بعد المسيح رسولا ، بل جعل ذلك الزمان زمان فترة .

وأيضا فإنه قال تعالى : (إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا) يس/14 ، ولو كانوا رسل رسول ، لكان التكذيب لمن أرسلهم ، ولم يكن في قولهم : (إن أنتم إلا بشر مثلنا شبهة) فإن أحدا لا ينكر أن يكون رسل رسل الله بشرا ، وإنما أنكروا أن يكون رسول الله بشرا .

وأيضا : فلو كان التكذيب لهما وهما رسل الرسول ، لأمكنهما أن يقولا : فأرسلوا إلى من أرسلنا أو إلى أصحابه ، فإنهم يعلمون صدقنا في البلاغ عنه ، بخلاف ما إذا كانا رسل الله .

وأيضا فقوله : (إذ أرسلنا إليهم اثنين) يس/14، صريح في أن الله هو المرسل ، ومن أرسلهم غيره إنما أرسلهم ذلك لم يرسلهم الله ; كما لا يقال لمن أرسله محمد بن عبد الله إنهم رسل الله ، فلا يقال لدحية بن خليفة الكلبي أن الله أرسله ، ولا يقال ذلك للمغيرة بن شعبة وعبد الله بن حذافة وأمثالهما ممن أرسلهم الرسول .

ومعلوم أنه لا يقال في هؤلاء : إن الله أرسلهم ، ولا يسمون عند المسلمين رسل الله ، ولا يجوز باتفاق المسلمين أن يقال هؤلاء داخلون في قوله : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) الحديد/25.

فإذا كانت رسل محمد صلى الله عليه وسلم لم يتناولهم اسم " رسل الله " في الكتاب الذي جاء به ، فكيف يجوز أن يقال : إن هذا الاسم يتناول رسل رسول غيره " انتهى باختصار من " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " (2/245-255)، وقد اختصر ابن كثير كلام شيخه ابن تيمية ، وأعاد صياغة الردود ، وذلك في " تفسير القرآن العظيم " (6/573-574) .

وبهذا يتبين صحة القول الأول الذي هو " ظاهر القرآن " كما قال ابن الجوزي رحمه الله في " زاد المسير " (3/521)، وإن رجح في " المنتظم " (2/31) القول الثاني .

والله أعلم .